مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٢/٦/٩

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

بداية السنة السادسة بعد معارك الأيام الستة !

... ونحن الآن فى **بداية** السنة السادسة بعد معارك الأيام الستة !

... وما زالت **بقية** الأصداء مما قيل فى ذكرى ٥ يونيو الأخير ، تطن فى آذاننا !

ومع هذه **البداية** الجديدة من علامات الزمان ، ومع هذه **البقية** من أصداء ماقيل فى ٥ يونيو الأخير ، ولم يكن كله قولا بغير حساب ـ مع هذه **البداية** وتلك **البقية** ، فلقد تكون الفرصة مناسبة لوقفة بالتفكير المتأنى تربط ما بين اللحظات والكلمات ، عسى أن تكون من وراء ذلك فائدة .

□

وربما يكون مطلوبا فى هذه الفرصة المناسبة لوقفة بالتفكير المتأنى ـ أن ندير البصر **على أفق واسع من حولنا** ، ثم أن ندقق النظر على **أمر واقع فوق أرضنا** ، ثم نستخلص من ذلك مانشاء ، ونرتب عليه ماهو ضرورى !

سوف نبدأ بالأفق الواسع من حولنا .

ثم ننتقل الى الأمر الواقع فوق أرضنا .

وبعد ذلك نرى الى أين وصلنا ..؟!

■■■ **فى الأفق الواسع من حولنا** لابد ان ندور على مجموعة من مواقف الأطراف الأخرى **المشتبكة أو المتصلة** بأزمة الشرق الأوسط ثم ندرس هذه المواقف واضعين فى الذاكرة دواما اننا فى بداية السنة السادسة بعد معارك الأيام الستة .

ان هذه الأطراف المشتبكة أو المتصلة تتلخص مواقفها التى اعلنت فى هذه المناسبة أو بقربها ـ فيما يلى :

■ أولا : العدو : اسرائيل

ان موقف اسرائيل تحدد بشكل قاطع على لسان ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل في خطاب له بمناسبة ٥ يونيو قال فيه بالحرف :

« اننا سوف نبقى على خطوط وقف اطلاق النار الى الوقت الذى تقرر فيه مصر أن تدخل معنا فى مفاوضات مباشرة .

ان طال هذا الوقت الى شهور فنحن باقون الى شهور، وان طال الى سنين فنحن باقون الى سنين » .

ومع كلام ابا ايبان فلقد كانت تعليقات كل المراقبين للمسرح الاسرائيلى واضحة فيما تقول به ، وكانت كلها تقول « ان اسرائيل قد رتبت نفسها لبقاء طويل — ان لم يكن أبديا — فى الجزء الأكبر من المناطق المحتلة، وكانت فيما مضى تدارى قصدها أما الآن فانها تتصرف بلا حرج »

واذا كنا منصفين للطبيعة البشرية فلابد أن نقدر ان لموقف اسرائيل منطقه ، حتى اذا كان هذا المنطق يسوؤنا .

ذلك انه اذا كان فى مقدور اى طرف فى صراع ان يأخذ

لنفسه ، ما يشاء ، دون ان يكون في مقدور الطرف الاخر المقابل له ان يمنعه او يتحداه ـ فما الذى يوقفه او ما الذى يصده ؟!

اسرائيل فى هـذا الوضـع تماما :

امرائيل تريد التوسع .

وخطوط النـار حولها باردة ساكنة .

والمساعدات الأمريكية تتدفق والعالم كله من حولها لايملك ـ فى احسن الظروف ! ـ الا ان يتمتم بكلمات عتاب ماجزة .

... واذن فلمـاذا تمتنع او ماذا يمنعها ؟!

■ ثانيـا : النظـام العالمى : المتمثل فى القـوتين الاعظـم وهمـا الولايات المتحـدة والاتحـاد السوفيتى

ان كل حقبـة من التـاريخ يسودها نظام غالب: امبراطورية

او حلف والامثلة على ذلك كثيرة من الامبراطورية الرومانيةقديما وسـلامها المشهور الى الحلفاء الاربعـة الـكبار الذين كسبوا الحرب العالمية الثانية واقاموا نظامهم للسلام متمثلا فى الامم المتحـدة محتفظين لانفسـهم ـ وللصـين معهم ـ بمقاعـد دائمة فى مجلس الامن .

وفى ربع القرن الاخير ومع متغيرات كثيرة فىاشكال وانواع وموازين القوة فقد استقرالنظام العـالمى على اثنتين من القوى الاعظم همـا الولايات المتحـدة والاتحاد السوفيتى .

ويقوم هذا النظام بينهما على منصرين :

● التنـافس بينهما سياسيا وعقائديا واقتصاديا الى آخره .

● ثم التوافقبينهما علىتجنب اى تصادم مباشر بينهما بسبب الثـورة التى طرات على قـوة السـلاح النووى والثورة التى طـرات على وسـائل نقـله وتوجيهه .

وليس هنـاك من يريـد ان يسـاوى بين طبيعـة القوتين الاعظم فكلتاهما لهـا طبيعـة تختلف .

ومن اختـلاف الطبـائع فان الولايات المتحدة اصبحت القوة المؤيدة للعدوان الاسرائيلى على الثورة العربية .

ومن نفس اختلاف الطبـائع فان الاتحاد السوفيتى اصـبح القوة المؤيدة للثورة العربية ضد العدوان الاسرائيلى .

لـكن اختلاف الطبائع لايهدم النظام العالمى القائم علىالاثنين معا، لانالضرورات ـ خصوصا اذا كـانت ضرورات امن ذاتى وحياة ـ تسبق اعتبارات اخرى مهما كانت قيمتها .

والمشكلة أن الثورة المضادة العالمية ـ والتى تمثلها الولايات المتحدة ـ تشعر أن التاريخ والتطور ضدها ولهذا فهى تتصرف بحماقة وشراسة .

وفى نفس الوقت فان الثورة العالمية ـ والتى يمثلها الاتحاد السوفيتى ـ تشعر أن التاريخ والتطور معها ولهذا فهى تتصرف بتؤدة وتحاذر دون المغامرة .

والمشكلة أيضا أن الذى يريد أن يوقف التاريخ والتطور يركز على نقط معينة تبدو فيها الحركة الى الامام ابرز واظهر ، ثم يضربها بقسوة وبشدة [فيتنام مثلا] .

وفى نفس الوقت فان الذى يريد أن يدفع التاريخ والتطور يتحرك على جبهة واسعة ويتقدم الى أى موقع يرى التقدم فيه ممكنا [شبه القارة الهندية مثلا] .

. . . . . .

. . . . . .

والمشكلة اخيرا ـ وهذا متصل بنا ـ أن كلا الطرفين يحاذر المناطق الحساسة التى تكاد تشبه حقول الالغام من فرط حساسيتها .

هناك حيث الظروف معقدة وحيث المصالح طائلة وحيث احتمال التصادم المباشر بالتالى قائم .

فى مثل هذه المناطق تكون التحركات بحساب ، وتكاد التصرفات من الجانبين تكون حوارا صامتا يجرى به التفاهم على الحد الذى لا يحق لاحد الطرفين ان يتجاوزه .

وهذا يصنع بالنسبة للاطراف المحليين فى هذه المناطق اثرا مزدوجا :

من ناحية فانه يفرض عليهم قيودا لابد أن يحسبوا حسابها .

ومن ناحية اخرى فانه يرتب عليهم مسئوليات لهم حق الفعل فى اطارها .

هذا الاثر المزدوج فى هذه المناطق الحساسة هو عقدة **العقد وهو ذروة الخطر نفسها ، خصوصا اذا اخذنا فى الاعتبار الحاجة الملحة من جانب الاطراف المحليين الى القوتين الاعظم وهما معا اهم مصادر الحصول على وسائل التقدم [التصنيع مثلا] واهم مصادر الحصول على وسائل الامن [الاسلحة المتطورة مثلا]**

وازمة الشرق الاوسط نموذج هذا النوع من المناطق ، ولعل التعبير الواضح امامنا عن هذه الحقيقة هو الاشارة التى وردت فى البيان المشترك عن مؤتمر القمة فى موسكو خاصة بازمة الشرق الاوسط ، وقد صدر هذا البيان المشترك قبل ايام قليلة من بداية السنة السادسة لمعارك الايام الستة .

□

ولعلى اعترف اننى لم اتقبل ببساطة تلك العبارة التى وردت فى بيان موسكو عن ازمة الشرق الاوسط ، مع انى ـ كما يشهد

لى ما كتبت ملحا على هذه الصفحة ـ لا استطيع ان ادعى المفاجاة بها .

لقد جاء عن ازمة الشرق الاوسط فى هذا البيان مانصه:

« بسط الجانبان موقفهما من هذه القضية وهما يؤكدان تاييدهما لتسوية سلمية فى الشرق الاوسط طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ويؤكد الجانبان ، وهما يلحظان أهمية التعاون البناء للاطراف المعنية مع السفير يارنج ، الممثل الخاص للسكرتير العام للامم المتحدة، رغبتهما فى الاسهام فى نجاح مهمته ، ويعلنان كذلك استعدادهما لان يلعبا دورهما فى تحقيق تسوية سلمية فى الشرق الاوسط. ان تحقيق مثل هذه التسوية فى نظر الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، من شانه فتح آفاق لاعادة الموقف فى الشرق الاوسط لحالته الطبيعية، والسماح بوجه خاص ببحث خطوات اخرى لتحقيق استرخاء عسكرى فى تلك المنطقة »

ولابد ان اقول ، اننى ـ وبدون اية مفاجاة ـ لم استطع تقبل هذه العبارة ببساطة للاعتبارات التالية :

❶ ان مجرد الاتفاق بين القوتين الاعظم على نص واحد يشير الى ازمة الشرق الاوسط هو شىء لايمكن قبوله ببساطة خصوصا وقد تلا هذا النص فى بيان موسكو نص آخر يحوى اشارة الى ازمة جنوب شرق آسيا وفى هذا النص فان كل واحدة من القوتين الاعظم حددت موقفها تجاه هذه الازمة على انفراد .

❷ ان الكلام عن تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط ليس قائما ازاء اصرار اسرائيل ـ الذى لا تخفيه ـ على ضم اراض عربية جرى احتلالها بعد ٥ يونيو اليها وبين هذه الاراضى : القدس وغزة والمرتفعات السورية وشرم الشيخ .

والغريب انه كان هناك من ينتقدون الكلام عن حل سياسى شامل للازمة ـ تدخل القوة المسلحة كعنصر من عناصره ـ ومع ذلك فان الاشارة للتسوية السلمية ـ اى التسوية عن طريق المفاوضات ـ مرت بدون تعليق !

❸ ان الحديث عن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مع نسيان كل ماحدث لهذا القرار خلال السنوات الخمس الماضية هو ببساطة رجوع بالموقف العام فى ازمة الشرق الاوسط كله الى ما كان عليه فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ عندما صدر هذا القرار.

كانت الاشارة الى هذا القرار ضرورية فهو مازال الاساس المقبول لحل ازمة الشرق الاوسط ، ولكن التحفظ كان ضروريا ازاء كل ماتعرض له هذا

القرار من جانب اسرائيل !

❹ ان ذكر مهمة يارنج على هذا النحو المجرد والمطلق فيه خلط كبير بين مواقف اطراف الازمة .

طرف تعاون مع يارنج وطرف رفض ان يتعاون .

طرف رد ايجابيا عليه وطرف استكبر حتى ان يرد عليه .

طرف اثبت فى كل الاتصالات معه انه يريد السلام وطرف آخر اثبت فى كل الاتصالات معه انه يريد التوسع .

ولقد اضيف انه كان هناك انتقاد لبعض ما اكتب واشير فيه الى « القوتين الاعظم » باعتبار ان هذه الاشارة تحمل ضمنيا مفهوم المساواة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى — ولم اسمع من جانب هؤلاء حتى الان ملاحظة عن المساواة فى بيان موسكو بين مصر واسرائيل !

❺ ثم الم تكن اشارة واجبة ولو من بعيد الى جذور المشكلة التى تسببت فى ازمة الشرق الاوسط وهى مشكلة شعب فلسطين ؟.. او لم تكن هذه الاشارة واجبة مع الحديث عن استرخاء عسكرى فى المنطقة ؟

واريد ان اقول بامانة اننى ضد اى محاولة للتشكيك فى موقف الاتحاد السوفيتى وذلك عن ايمان عميق باهمية الصداقة العربية السوفيتية لنا فى الحرب والسلم على السواء ، ولكنى فى نفس الوقت لست على استعداد لان اهز راسى بالموافقة على كل كلمة تصدر عن الاتحاد السوفيتى .

ولعلى اتخذ هذا الموقف من حرصى على الصداقة العربية السوفيتية قبل اى شىء آخر .

ذلك اننى ارى المعضلة العويصة التى تواجه الاتحاد السوفيتى :

• هو على تنافس مع الولايات المتحدة ...

لكنه يجد امنه فى التوافق معها .

• وهو ازاء حركات التحرير فى العالم حريص على ابراز اختلافه عن الولايات المتحدة .

لكنه ازاءها حريص على التماثل من حرصه على المساواة معها .

وهذه معضلة يجب ان نفهمها ولا يجب ان يؤخذ فهمنا لها على انه تقليل من اهمية الصداقة العربية السوفيتية .

ولقد ندرك ان تكريم اى صداقة يبدو اول مايبدو فى العزوف عن تحميلها باكثر مما تحتمل والا فان هناك مخافة او مهانة ان تتحول الصداقة الى عبء !.

اقول ذلك بغير وساوس ولعدة اسباب :

• ان كل ما كتبت وما اكتب شاهد على تمسكى بالصداقة العربية السوفيتية وآخره الدفاع عنها فى الازمة التى اعقبت

انقلاب السودان فى يوليو الماضى وبسببه ـ الى جانب ملابسات اخرى ـ فان الاهرام مازال مصادرا فى الخرطوم حتى اليوم

● ان الاتحاد السوفيتى بالاقتناع وبالتجربة هو الصديق الاول لنا وان كنت اتردد فى القول بانه الصديق الوحيد لان معنى ذلك من جانبنا تسليم بالفشل ازاء العالم وباننا لم نستطع العثور فيه الا على صديق وحيد .

● ثم اننى اومن ان صداقتنا مع الاتحاد السوفيتى اعطت له بمثل ما اعطتنا صداقته وابسط الظواهر انه بصداقتنا أصبح قوة موجودة فى البحار الدافئة.

لكن ما اطالب به هو تقدير موقف الاتحاد السوفيتى بين حوافز التنافس مع الولايات المتحدة الامريكية وضرورات التوافق معها .

وهو مايظهره بوضوح بيان موسكو قبل خمسة أيام من ٥ يونيو .

■ ثالثا : بقية العالم : أوروبا وآسيا وأفريقيا

ان المواقف على هذه الجبهة العريضة تتفاوت ، والتأييد بشكل عام لنا موجود لكننا تركنا الكثير من خطوطنا مع هذه القارات تضطرب :

● من ناحية فاننا ركزنا كل حياتنا على الصراع العربى الاسرائيلى واهملنا ماعدا ذلك من قضايا تساوى اهتمامنا ... والنتيجة ان الذين لايهتمون الا بانفسهم ليس لهم أن يتوقعوا اهتماما كبيرا من العالم بهم .

● ومن ناحية اخرى فان جهدنا فى ابراز وجهة نظرنا فى الصراع العربى الاسرائيلى لم يزد على استجداء التأييد سواء فى الامم المتحدة أو البيانات الرسمية بعد لقاءات ثنائية .

والتأييد لايستجدى وانما التأييد مصالح متبادلة .

والتأييد الذى يمكن ان تكون له قيمة هو ما يحصل عليه طرف يكون فى يده ان يمنح ويمنع ، وان يعطى ويرفض ،وان يساعد ثم يطلب المساعدة .

العالم اذن بشكل عام معنا.

لكن العالم مهتم بالدرجة الاولى باستمرار وقف اطلاق النار حتى لايطير من معركتنا هنا شرر يصل منه الخطر الى بعيد .

■■■ هذه هى صورة الافق الواسع من حولنا ، فماذا عن الامر الواقع فوق ارضنا ؟

لا اظننى أتجاوز اذا قلت ان الصورة على الارض العربية غير مريحة فيما يتعلق بالمواجهة مع اسرائيل .

الصورة وبغير تعقيدات كما يلى :

❶ المملكة العربية السعودية : مشغولة بترتيب الاوضاع فى شبه الجزيرة العربية واهتمامها بالدرجة الاولى موجه الى الخليج والى الجنوب بدرجات متفاوتة ولاهداف متعددة .

❷ العراق له شواغله ، الى الشرق فى ايران والى الغرب فى سوريا . وفى بغداد ودمشق كلتاهما حكم يستند على جناح مختلف من الاجنحة المتعددة لحزب البعث . ولقد جمعت بينهما أخيرا عملية تأميم البترول فى العراق ، وتأميم خط الانابيب فى سوريا .

❸ الجزائر : مهتمة بالمغرب العربى يضم تونس من الشرق والمغرب من الغرب ويتصل بموريتانيا ويمد نشاطه الى تعاون اقتصادى اقليمى فى غرب افريقيا .

❹ السودان : مشدود الى شرق أفريقيا من تأثير اتفاقية جنوب السودان الى جانب اعتبارات أخرى .

وكما نرى فانه فى غيبة فكرة عربية عامة وهدف عربى موحد ونضال عربى مشترك فان اثر الجغرافيا السياسية Geopolitics يبرز ويشتد .

□

ثم يتبقى فى العالم العربى هؤلاء الذين يشعرون بلسعة النار لانهم فى قلب المعركة بالممارسة اليومية وهم :

١ ــ مصر : وعليها المسئولية التاريخية والفعلية فى المواجهة مع اسرائيل والاستعمار .

٢ ــ ليبيا : وهى موجودة بالمعاناة الثورية وبوازع الضمير العربى المتيقظ .

٣ ــ المقاومة الفلسطينية : وقد تحملت ــ وحملت نفسها ايضا ــ بما لايطيق البشر تحمله

٤ ــ سوريا : باحتلال جزء من اراضيها ثم بوجودها فى اتحاد الجمهوريات العربية .

وصحيح ان السعودية والكويت تسهمان فى الدعم العربى ، وصحيح ان الجزائر والعراق ابدتا الرغبة أخيرا فى الاقتراب من ميدان المعركة ، وصحيح ان السودان له تواجد رمزى فى الميدان ــ ولكن ذلك كله اهتمام محصور ، يذكر ويشكر ، ولكن تأثيره محدود او هو نسبى .

والسؤال الحيوى الان هو :

ــ ثم ماذا بعد ؟

● كما راينا من نظرة على الافق الواسع من حولنا : فان اوضاع العالم تقول لنا ان المعركة معركتنا ولن يحاربها غيرنا ولن يصل فيها الى آخر المدى سوانا .

وصحيح ان لنا اصدقاء ــ واننا بدون هؤلاء الاصدقاء كنا نجد انفسنا فى أصعب المواقف ــ ولكن الصحيح ايضا هو ان الصداقات لها حدود كما

أن الاصدقاء أيضا عليهم التزامات وأمامهم توازنات تطالبهم بمراعاتها .

• ثم ، وكما رأينا ايضا من نظرة على الامر الواقع فوق ارضنا فاننا لسنا فى أحسن الاوضاع لخوض صراعنا ، لانه فى غيبة الفكرة العربية العامة والهدف العربى الموحد والنضال العربى المشترك — فان تاثير الجغرافيا السياسية — الاهتمامات الاقليمية — يبرز ويشتد .

◄ ونسال بعد ذلك :
— هل الخطر على الامة كلها او هو على جزء منها فقط ؟
فيما اظن واعتقد فان الخطر على الامة كلها » .

◄ ونسال بعد ذلك ايضا :
— هل نحن الذين سنناضل ضد هذا الخطر المحيق بناجميعا او ان غيرنا هو الذى سيناضل ؟
فيما اظن واعتقد فاننا وحدنا المطالبون بالنضال مع التمسك بصداقاتنا الى آخر مدى » .

□

اكاد ارى بعد ذلك كله خطوتين :

الاولى — اننى اضم صوتى الى اصوات اخرى ارتفعت تطالب بمؤتمر عربى على مستوى القمة يضع استراتيجية عربية للمواجهة مع العدو تاخذ القضية كلها من جمود التوازنات الدولية وتحركها بحشد امكانيات امة باسرها .

ان الرئيس السادات وبجهد واسع حمله الى كل اركان العالم العربى تقريبا قد مهد الارض — فى ظنى — لمثل هذا المؤتمر ووفر له امكانية نجاح لم تتوافر من قبل لمؤتمر عربى على مستوى القمة .

واذن فلا اظن ان هناك محاذير خصوصا ازاء الخطر النازل يوما بعد يوم مع استمرار الازمة على وضعها الراهن .

الثانية — انه مع اتمام رسم هذه الاستراتيجية فان هذا الهدوء الذى يسود المنطقة كانه الكابوس يجب ان يتبدد ولابد ان يسمع فى المنطقة دوى الرصاص وان يرى منها على البعد السحيق لهيب النار .

وصحيح ان الحرب فى زماننا لها اشتراطات لابد من مراعاتها ولكن استراتيجية عربية شاملة هى الشىء الوحيد الكفيل بتوسيع رقعة هذه الاشتراطات لصالح نضالنا .

□

ولقد اضيف فى النهاية اننى مع الاسف لا اعتبر حادث مطار اللد نموذجا مثاليا للنضال .

ولعلى — وبمنتهى الاخلاص — اشعر بتعاطف من الاعماق مع الشبان اليابانيين الثلاثة الذين قدموا حياتهم راضين فى مطار اللد .

لـــكنى أولا لا أومن بالنضـال عن طريق الوكالة .

ثم اننى ثانيا لا أومن باطلاق الرصاص كيفما يكون .

ثم اننى ثالثا اخشى من هذه الاعمال أن تسىء الينا أمام آخرين من أصدقائنا بأكثر مما تنفعنا .

ولو ان اليابانيين الثـــلاثة ، كانوا ثلاثة من العرب لتحمست للموضوع ــ ليس من باب النضال ولـــكن من باب الانتقام للخديعة التى اســـتعمل فيهـــا الصليب الاحمـــر الدولى لقتل ثلاثة من الفدائيين العرب فى مطار اللد ايضا .

وربما أسأل :

ــ لماذا لم يفعل الفيتناميون مثلا ــ واصدقاؤهم المتعاطفون معهم فى العـــــالم اكـــثر من أصـــدقائنا ــ مثـــل ما يفعـــل بعضنا ؟ » .

والرد لانهم يعرفون ويفهمون يعرفون ويفهمون أن النضال شىء والمغامرة شىء آخر .

النضال تحريك دائم للتاريخ وعن استيعاب علمى لقوانينـــه واحكامه .

والمغامرة فرقعة تصيب مرة وتخيب مـــرات وتأثيرهـــا على التاريخ صفر !

. . . . . .

. . . . . .

ثم ..

لعلى لم أتجـــاوز فى بعض ماقلت !

محمد حسنين هيكل